من الحياة

يكتبها/ إقبال علي عبدالله
ikbalali2006@yahoo.co

استجابة

● كانت زاويتي هذا الأسبوع مكرسة لعيد الفطر المبارك الذي يهل علينا بعد أيام قصيرة لا تتعدى أصابع اليد الواحدة.. غير أن الكم الكبير من الرسائل والاتصالات التي تلقيتها خلال الأسبوع الماضي وهي اتصالات ورسائل سبق وان أسعدتني منذ أكثر من شهرين، جميعها تطالبني بنشر أول مادة لي في هذه الزاوية وتحديداً في فبراير من عام ٢٠٠٣م.. وكانت بعنوان "للأنوثة لغة خاصة!!" وحقيقة انني لست متحمساً لإعادة نشر مواضيعي التي سبق لي نشرها، غير أن حبي الكبير لكم قرائي الأعزاء، جعلني ومع قدوم عيد الفطر المبارك أعاده الله عليكم وعلينا باليمن والخير والبركات.. أخضع مرغماً بالحب في تنفيذ طلب هذه الاتصالات والرسائل مؤملاً من كل قلبي أن يكون مثل هذا الطلب هو الأول والأخير..

●●●

للأنوثة لغة خاصة !!

● قالت:
لماذا أحببتني؟!
● قال:
إنني أريد بحبي لك الاعتذار عن كل حماقاتي التي ارتكبتها ضد الأنوثة!!
● قالت:
لماذا أنا التي تريد أن تمارس طقوس توبتك من خلالها؟!
● قال:
أنت اختصرتِ جميع من في الأرض من نساء!!
● قالت:
أنت كاذب.. لأنك لم تعرفني إلا من فترة قصيرة جداً!!
● قال:
أعترف أنك كتاب لم اقرأه بعد..
أرض لم أسكن فيها بعد..
سماء لم أعش تحتها بعد..
سطور لم أكتبها بعد..
بحار لم أمخر عُبابها بعد..
● قالت:
إذاً كيف احببتني؟!
● قال:
هل أنتِ انثى أم رجل مباحث لا يعرف غير السؤال؟!

●● ابتسمت وشرعت بالمغادرة لتختتم المشهد بالقول: "متى تعرفون أيها الرجال أن المرأة ليست شريحة لحم يمكن شراؤها بأغذب الكلمات.. بل هي معرض أزهار لا يزوره إلا من يعرف أسرار الأزهار ومواعيد تفتحها وذبولها!! المرأة جهاز يكشف بحساسية خاصة كذب الكلمات!!

●●●

●● جاءني منحني الرأس، مشوش الملامح، حزين العينين ونبرات الصوت.. ليقول لي:
"لا توجد امرأة صادقة.. مخلصة!!".
تركته يكمل دون مقاطعة، لأعطي له فرصة تفريغ شحنة من جوفه كشهاب يحاول احراق الزهور..
قال: عشرة أعوام وهي توهمني انها تحبني واني الوحيد الساكن في قلبها!! عشرة أعوام نسيت خلالها أن في الأرض نساء غيرها!! لا كتشف اليوم إن ذلك كان وهماً عشته وحدي.. لقد عرفت انها تحب شخصاً آخر غيري" وانها قررت الانفصال عني"!!
أخذته جانباً وهمست له قائلاً:
"فشلت في مخاطبة أنوثتها، ونجحت في مخاطبة جسدها.. فليس حبك لها، أساس استمرار العلاقة، بل الأهم الذي يجب أن تدركه خلال هذه السنوات العشر أن حبها لك هو وثيقة الإقامة في قلبها".

●●●

●● "دعيني يا سيدتي..
اضيفك حرفاً جديداً
على أحرف الأبجدية
دعيني اناقض نفسي قليلاً
وأجمع في الحب بين الحضارة والبربرية"

نزار قباني

●●●

أغنية الأسبوع

"انا من بداية عمري
أنا والعذاب دايماً حبايب
إيش جرى لك أيش يا دُنيا
ليش تورينا العجايب
ايش انا سويته لما احتمل منك عذابي
ذنبي أيش يا دنيا قولي
ياللي ضيعت شبابي
كم وكم بيطولَ عذابي
كم وكم بيطول صبري
يكفي دمعي.. يكفي جرحي
يكفي انه ضاع عمري
عشت احلم بالاماني واترجمها اغاني
كلما تخلص همومي
ينكتب لي هم ثاني
بالأمل صبرت نفسي
والأمل وراني يأسي
وأذوق همي بكأسي
بين عذاب يومي وأمسي
ابتسم.. أضحك وداخل قلبي أكثر من جراح
وأقول يا دنيا يكفي
فاض بي كثر السماح
انا من بداية عمري أنا
أنا والعذاب دايماً حبايب.."

غناء الموسيقار الراحل/ أحمد بن أحمد قاسم

النزعة في شعر أبي العتاهية

2 - 1

برهان أحمد ابراهيم

تمهيد :

بأبي العتاهية تكون تحولات الشعر، من اسر الذاكرة الى حضور الوعي .. ومن حاكمية الارث الطللي، الى شرعية الواقع اليومي .. ومن مجالس الامراء، وحلقات العلماء ورواة الشعر، الى حيث العامة في الاسواق، وبين ازقة بغداد..

من مبلغ عني الإما م نصائحا متواليه
أنى أرى الأسعار اسعار الرعية غاليه

ليس هنالك من شاعر هز مقاييس الشعر المتعارف عليها، كما فعل ابو العناهية إذ اتجه بالشعر اتجاها مغايرا، لم يعرف من قبل،، وكأنما الشعر اسلم القياد والامر له، دونما تردد ينكر، لينفض عنه ابو العتاهية الكثير مما ورثه، من صيغ التعبير ومن قيم شعرية متداولة، ومما علق به من صفات الفخامة، ليلبسه ثوبا متواضعا، اراد ان يكون له وحده، شرف قده وتفصيله، دون الشعراء جميا، فاذا بالثورة لصالح الواقع المعاش، تتجلى كأوضح ما يكون، سخطا وتمردا، على قداسة وسطوة الإرث الشعري، واذا بثورته تلك تتأرجح ابداعا وجمالا تارة :

ودفنت مرارة الاشياء طراً
فما طعم أمرّ من السؤال
ولم أر في الامور أشد وقعاً
وأصعب من معاداة الرجال
ولم أر في عيوب الناس عيبا
كنقص القادرين على الكمال

وسقوطا وابتذالا تارة اخرى:

يا عتب، سيدتي أما لك دين
حتى متى قلبي لديك يهين
وانا الذلول لكل ما حملتني
وانا الشقي البائس المسكين

شاء ابو العتاهية ان يجعل من لغة العشر، لغة حية تنتمي لواقعها، لتصبح بنت يومها المتمردة، على ارثها الطللي.. لغة تنال شرعية وجودها الابداعي، في احاديث الناس، لتكون ايضا للناس . .لا لغة تسعى في غربة عن ذاتها، الى نيل اعجاب وحظوة الخاضة من امراء وعلماء، فلاتملك من امرها شيئا غير اجترار احاديث الصحراء، ورتابة حياتها، فكان ابو العتاهية بمفهومه هذا عن لغة الابداع الشعري «... يقترب اقترابا شديدا من اللغة التي عاصرها، حتى في مديحه وشعره الرسمي، الذي كان يلقي به الخلفاء»(٢).

اجل، اراد للغة الابداع، ان تكون شيئا آخرا مغايرا، شيئا معاشا، بسيطا، بل كأبسط شيء يمكن مصادفته في شوارع بغداد، او بين ازقتها واسواقها.. لغة تعيش في وجدان العامة، فيتشكل الشعر منها، ليتنفسها ابداعا، ممتدحا بمفرداتها الشعبية البسيطة، رأس الخلافة، ونظامها الرسمي، با له من عقلية ارثية محافظة:

اتته الخلافة منقادة اليه تجرر اذيالها
ولم تك تصلح الا له ولم يك يصلح الا لها
لو رامها احد غيره لزلزلت الارض زلزالها

لغة الشعر بأبي العتاهية، غير ما كانت عليه من قبل، لم تعد لغة متوارثة مشدودة للماضي، تستمد مرجعيتها من اشعار الاوائل، اذ نقلها من علوها الى ارض الحياة اليومية، واخرجها من مجالس الامراء، ومن حلقات العلماء ورواة الشعر، كي تكون حرة طليقة بين بسطاء الناس، لتصير لغتهم هي لغة الشعر، فتلقفتها قلوب العامة، لانها منهم. واذا بالعادلة تتحقق : (لغة الشغر = لغة الناس) اذاً، لاغرابة ان رأي ابو العتاهية في احاديث الناس شعرا لذلك «كاد يكون كلامه شعراً كله..»(٣) .. وليعلن صراحة أن «اكثر الناس يتكلمون بالشعر، وهم لايعلمون، ولو احسنوا تأليفه كانوا شعراء كلهم».

وبقوله هذا، يكون ابو العتاهية قد اقر بشعبية الشعر، حيث العامة لاحيث الخاصة من علية القوم والمتأدبين.. بل ان ابا العتاهية، كان يتباهى بنزعته الشعبية تلك، ويزهو بها امام كل الشعراء، ومن ذلك رده على (سلم الخاسر) حينما سمعه في احدى قصائده، وانتقد سوقية الفاظها قائلا : «لقد جودتها لو لم تكن الفاظها سوقية» فيجيبه ابو العتاهية باعتزاز : «والله ما يرغبني فيها الا الذي زهدك فيها» ..

ومن هذا الحوار، نخلص الى ان الشاعر العباسي ، واجهته – كغيره من الشراء – اشكالية اللغة الابداعية، اذ كان هناك اتجاهان في اسلوب التعبير اللغوي، اولها : اتخذ اللغة المعيارية، اساسا لعمليته الابداعية، أعتمادا على ذاكرة لها مخزون ضخم من الارث الشعري، الى جانب امتلاكه قدرات عالية في الحفظ والاسترجاع، اضافة اللى مهارات التقليد والتحوير.

وغالبا ما قامت تلك الذاكرة بوظيفة تأسيس اللغة ، لذلك سار هذا الاتجاه في مسالك الفحول المتقدمين، يستلهم صيغ تعبيرهم الشعري، ويحاكي اساليبهم واخيلتهم، ليلقى بذلك استحسان العلماء والسلطة، فكان ينهجه هذا ، يمثل الابداع الرسمي المحتكم، الى ذاكرة تاريخية محافظة.. بنهجه هذا، يمثل الابداع الرسمي المحتكم الى ذاكرة تاريخ محافظة... اما الاتجاه الثاني: فقد اسس لغة وجدانية، باعتماده ع لى وعي مدرك لمحيطه، ليقيم من مفردات الواقع اليومي بنية لغوية، تتحقق فيها تلقائية التعبير، وصدق التصوير، وبذلك يقوم هذا الاتجاه في تأسيس لغته، على الوعي بمفردات وعبارات المجتمع، ليجعل منها معجم للغته في الشعر، وهو اتجاه اقرب الى الاتجاه الواقعي في اللغة، ليحظى بقبول العامة واستحسانها ..

وقد اشار ابو العتاهية الى وجود تلك الاشكالية، وما نتج عنها من تنو في اساليب لغة الابداع بقوله : «... الشعر ينبغي ان يكون مثل اشعار الفحول المتقدمين فان لم يكن كذلك فالصواب لقائله أن تكون الفاظه مما لاتخفى على جمهوريا لناس مثل شعري..»(٤)

ان النزعة الشعبية في شعره، بما لها من بساطة المفردات، وسهولة التركيب، كانت هي طريقه الى عالم الابداع الشعري المعتمد على «.. لغة الحياة، حتى يخيل لقارئه وسامعه ان الشاعر لم يبذل جهدا في صوغ شعره»(٥).

نزوعه صوب لغة، تعبر عن وجدان العامة، دفع به الى تسخير عناصر ابداعه في سبيل تأصيل تلك النزعة الشعبية، من خلال تأكيد مفهومه، وتجسيد تصوره لبناء القصيدة، عبر مفرداتها الآتية:

١ – اللفظ : من حيث اختياره واستخدامه :
أبو العتاهية هو ابن بيئته (بغداد)، إذ لم يعرف عنه ملازمة كبار الشعراء، او انه روى عنهم ، كما لم يعرف عنه، انه قصد بوادي العرب، بحثا عن صفاء وجزالة اللغة وغريب الفاظها، وانما استقى اللغة من بيئته الحضرية، التي اضفت على شعره الكثير من السهولة وربما الليونة، اذ جعل من الفاظ بيئته قاموسا منه يختار مفرداته، فلم تعدل جزالة للالفاظ، وفخامتها، اساس ابداعه الشعري، بل اراد البساطة والسهولة، فتحقق له بذلك الاقتراب «.. من كلام العامة، وكان يتخذ ذلك مذهبا في صنعة شعره، حتى يكون اكثر تداولا، ومع ذلك لم يخرج عن الفصحى»(٦).
فاذا بقصائده تنتشر بين الناس، وتحظى بإعجاب العامة والخاصة :

كم زمان بكيبت منه قديماً ثم لما مضى بكيت عليه

وقوله :

لانس واذكر سبيل من هلكا ستسلك المسلك الذي سلكا

٢ – العبارة : من حيث صياغتها وبناؤها :
لم يشغل ابو العتاهية باله او يجهد فكره في امر تأليف عباراته، فهو لايركب الصعب، ولا ينشد التفوق على غيره في هذا المجال، لذلك لانجد في اسلوبه قوة السبك، ومتانة العبارة على طريقة الفحول الاوائل، بل وجدنا سهولة الصياغة وبساطة البناء، ويسر التركيب، فاتسمت عباراته وجمله بالوضوح والمباشرة، وتلكم كانت غايته ومراده من الشعر :

أتاك محياك المماتا فطلبت في الدنيا الثباتا

أو في قوله :

هي الدنيا إذا كملت وتم سرورها خذلت
وتفعل في الذين بقوا كما فيمن مضت فعلت

هذه العبارات، بما تتصف به من بساطة ومباشرة، انما كانت بسب موضوعاته في الزهد، التي اثرت، وتدخلت بقوة في تشكيل اسلوبه السهل، كي تنتشر بين اوساط مجتمعه، حتى ان قارئ ديوانه، يشعر انه امام رجل يتحدث، لا امام شاعر، بل ربما تمادى ابو العتاهية في طلب السهولة والوضوح، الى حد الضعف والوهن والسقوط :

يا عتب ما انت الا بدعة خلقت
من غير طين وخلق الناس من طين

وغالبا ما وظف ابو العتاهية، عبارات تتداولها العامة في احاديثها اليومية، كعبارة (يرد الروح) في قوله:

لولا يزيد بن منصور لما عشت هو الذي رد روحي بعد ما مت

ان نهج أبي العتاهية مسلك السهولة والوضوح لم يكن آمناً خالياً من العثرات والسقوط، بل كثيرا ما اوقعه في الركاكة والضعف، وقد ادرك ذلك نقاد عصره، فهاهو (الاصمعي) يقول : «شعر أبي العتاهية كساحة الملوك، يقع فيها الجوهر والذهب، والتراب والخزف والنوى».

الهوامش :

١ – هو أبو اسحاق اسماعيل بن القاسم مولده في ١٣٠هـ.
٢ – شوقي ضيف : الفن ومذاهبه في االشعر العربي، دار المعارف، القاهرة، ط(٩ ،١٩٧٦م) ص ١٦٨.
٤ – ديوان ابي العتاهية : دار الكتب العلمية، بيروت، ص ٢٤.
٥ – مصطفى الشكعة : الشعر والشعراء في العصر العباسي، دار العلم للملايين، بيروت : ط(٣، ١٩٧٩م)، ص ٢٢٤.
٦ – شوقي ضيف : الفن ومذاهبه في الشعر العربي، ص (١٧١ – ١٧٢).

مرافئ

الحماطي .. (الوكيل) النجم !

محمد عمر بحاح

لا ادري ان كانت وزارة الاعلام قد كسبت احمد الحماطي اعلاميا واداريا بوصفه يشغل منذ عدة سنوات وكيل الوزارة لشؤون الاذاعة والتلفزيون، ولكنني واثق كل الثقة، ويشاركني كثيرون، بان التلفزيون خسر مذيعا لامعاً، بل ومذيعا نجما.
العثور على اداري جيد قد لايكون بالامر الصعب. وليس في هذا اي تقليل من اهمية الكفاءة الادارية، والحاجة الى الاداري الكفؤ في كل وقت في مرافقنا العامة والخاصة على حد سواء. ولاخطر في ذهني ولا للحظة واحدة الانتقاص من كفاءة الاستاذ الحماطي الادارية. ولكن دفعني الى قول ما قلت ان العثور على المذيع النجم ليس متاحا في كل وقت.
وهناك فرق شاسع بين الاثنين بين المذيع، والمذيع النجم. ففي الوقت الذي يوجد فيه مذيعون بالعشرات، فان المذيع النجم حالة نادرة. انه ليس مجرد صوت جميل ومعبر، بل هو ايضا الق دائم، والفة حميمة مع الكاميرا، و«كاريزما» تجعله يتسلل الى قلوب المشاهدين بدون استئذان.
والذين يعرفون احمد الحماطي، وتابعوا برامجه الناجحة في تلفزيون عدن، وتتبعوا مسيرته الاعلامية، والنجاح الذي حققه يعرفون انه مذيع نجم، يتفوق في نجوميته على كثير من نجوم الاذاعة والتلفزيون بالامس واليوم، ليس في اليمن وحدها، بل في الكثير من البلاد العربية.
يصف المخرج التلفزيوني اللامع محمد محمود السلامي زميله احمد الحماطي بانه «مبدع من الطراز النادر» . وليس في هذا الوصف اية مبالغة. فالبرامج التي كان يقدمها الحماطي في تلفزيون عدن خاصة (المنوعات) لاتقل جاذبية وجماهيرية عن سواها من البرامج المماثلة في كثير من الفضائيات العربية، ان لم تكن تتفوق عليها. بل ان الحماطي، المذيع، النجم، كان سباقا في تقديمها.
ويذكر المشاهدون معي، كيف كنا نتحلق حول برنامجه (نادي التلفزيون) من اخراج السلامي نفسه، صغارا وكبارا، وكيف ننتظره في موعده الاسبوعي، وكيف كنا نتسمر امام الشاشة الصغيرة دونما ملل. فعل ذلك هو والمخرج وطاقم البرنامج في ظل امكانيات محدودة، وجوائز متواضعة على عكس ما نراه اليوم من برامج مماثلة توظف لها امكانيات هائلة، وديكورات مبهرة، وجوائز تبلغ الملايين يسيل لها اللعاب في الفضائيات العربية!.
لانعرف على وجه التحديد، الظروف التي جعلت الحماطي يبتعد عن التلفزيون ونجوميته التي حققها خلال سنوات طويلة! لكن .. لعل في منصب «وكيل وزارة» ما يغري اكثر من وظيفة المذيع، خاصة ان هناك من يعامل المذيع كموظف وليس كمبدع وشتان بين الاثنين . ولست اقصد هنا «الاغراء المادي»، ومن خلاله وضعه الاجتماعي، بل اقصد الوجاهة والمكانة الاجتماعية التي تمنحها الوظيفة الحكومية خاصة في منصب رفيع كوكيل وزارة. لاشك ان طريقة معاملة المجتمع لصاحبها تختلف كل الاختلاف عن معاملته للمذيع والاعلامي على وجه العموم!.
في مجتمعات اخرى يعامل المذيع، خصوصاً اذا كان نجما كالحماطي معاملة خاصة تليق به وبمكانته ونجوميته وشهرته. ولعل جورج قرداحي، واوبرا وينفري وهما من نجوم التلفزيون المشهورين ومن مقدمي (المنوعات)، خير دليل على المكانة الرفيعة التي يحظى بها النجوم في تلك المجتمعات.
في مجتمعنا اليمني، والمجتمعات المماثلة، فان نظرة المجتمع للمذيع، وان كانت لاتنتقص من شزنه، لكنها ايضا هي اقل بدرجات من المكانة الاجتماعية والتقديرية من المجتمع للشيخ، او الوزير، او حتى وكيل الوزارة. وفي ذلك فرق كبير، ناهيك عن مدى النفوذ، وتواضع دخل المذيع قياسا بمدخولات الاخيرين.
لعل الحماطي الذي لاينقصه الذكاء ولا الطموح، ادرك قبل غيره من زملائه المذيعين والعاملين في التلفزيون ما سيؤول اليه وضعه بعد عدد من السنين عندما يحال كغيره الى التقاعد، فتجنب بحاسة استشفاف حادة عنده ذلك المصير المؤلم الذي آل اليه زملاؤه الذين احيلوا الى المعاش بصورة غير لائقة، وبمعاش ضئيل لايسمن ولايغني من جوع.
ولعل الاستاذ احمد الحماطي بوصفه وكيل وزارة الاعلام لشؤون الاذاعة والتلفزيون، يستطيع – وهذا امل زملائه وعشمهم فيه – تحقيق شروط تقاعد انسانية ولائقة بهم كمبدعين. وليس هناك من هوا اقدر على تقدير ظروفهم وتعبهم اليومي من موقعه السابق كمذيع نجم عاش نفس الظروف، واكتوى بنفس المعاناة، خاصة بعد ان اصبح منوطا به من موقعه الاداري القيادي تطوير شؤون الاذاعة والتلفزيون، ويزتي الاهتمام بالكادر الاعلامي فيهما على رأ« هذا التطوير.
اما نحن المشاهدين، فنفتقد للحماطي، المذيع ، المثقف، النجم. نفتقده كثيرا. لكننا لانعرف كيف نستعيده الى التلفزيون، والى جمهوره!.

إعلان

الكلمات

أمل حزام

تتناثر على شواطئ الايام قصيدة الشاعر الولهان حيث ترتسم المعاني بحروف ناطقة الكلمات من قاموس اللغة كأنما استدعيت من اغوار التراث العربي الاصيل وتضيف كلمات وكلمات لتصبح شلالات جمل تتداولها السنة الشعراء والادباء في قافية لاتزال تحيي امسيات ليالي الانس في ديوان يؤمه الشعراء ويكتب فيه اقدم شاعر دعوة مفتوحة لكل شاعر مازال يسكن النفس الابداعي في هذا الزمان المنسي الذي تتحول فيه ابيات الشعر والقصائد الى نداء ابدي يركب الريح ليتعدى الزمان والمكان وتصبح قصصا مرسومة ينقش فيه الناحت لوحات تعبر عن ماض اراد ان يكون يوما مستقبلا حيث يكسر فيه حاضر الصمت مأساة النسيان ليثبت وجودا كان قد اختفى منذ زمن بعيد ويعيد ذكرى التاريخ ويتربع عرش المجد كنجمات تتساقط كالنيازك من السماء لتجعل من الخيال والاسطورة واقعا ملموسا لكل روح مازالت تنبض بامل لتقتحم التاريخ وتخرج منتصرة باسلوب تشتهي فيه الروح ان تبقى دائما في وسط اللمسات الابداعية حيث تبدأ خطوط الاسطر تمجد الاقلام المبدعة لتضيف على دفتر اليوم اكاليل من زهور الطبيعة الخلابة لتكمل فيها لمساتها الاخيرة كوسام في ذروة من الالهام لينحني لها كل رأس حين يقرأها في إحدى مكتباته العتيقة ليشعل مصباح الغيرة في نفوس لربما تبدأ بولادة اقلام جديدة للنهوض عبر ماض لايبخل ابدا بالعطاء الدائم هكذا صرخت صفحات الكتاب القديمة قائلة :
انا مازلت كلمات في كتاب بسيط في احد الرفوف القديمة ولكني املك في احضاني كنزا لايقدر بثمن لمن يفقه محتواه.